ولا يرى أن يتدنس بمطالب الشؤم ومطامع اللؤم فإن من البهائم الوحشية ما يأبى ذلك ويأنف منه

وليس الليث من جوع بغاد ❊ على جيف يحابيها كلاب

فكيف بالإنسان الفاضل الذي هو أكرم الحيوان جنسا وأشرفه نفسا هل يحسن به أن يرى لوحشي البهائم عليه فضلا وقد قال الشاعر

على كل حال يأكل المرء زاده ❊ على البؤس والضراء والحدثان

والفضل في مثل هذا ما قيل لبعض الزهاد لو سألت جارك لأعطاك فقال والله ما أسأل الدنيا من يملكها فكيف من لا يملكها ووصف بعض الشعراء قوما فقال

إذا افتقروا عضوا على العلم حسبة ❊ وإن أيسروا عادوا سراعا إلى الفقر

الضرم

فأما أن يسأل من غير ضرورة مست ولا حاجة دعت فذلك صريح اللؤم ومحض الدناءة قلما يجد مثله ملحوظا أو معولا محظوظا لأن الحرمان قاده إلى أضيق الأرزاق واللؤم قاده إلى أخبث المطاعم فلم يبق لوجهه ماء إلا أراقه ولا ذل إلا أذاقه وقال عبد الصمد لأبي تمام

أنت بين اثنتين تبرز للنا ❊ س وكلتاهما بوجه مذال

لست تنفك طالبا لوصال ❊ من حبيب أو طالبا لنوال

أي ماء لحر وجهك يبقى ❊ بين ذل الهوى وذل السؤال

ولو استقبح العار وأنف من الذل لوجد عن السؤال مكتسبا

٨٧

وقال الخ

وهم لفقد المال أولاد علة ❊ وإن كان محضا في العشيرة مخولا

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى ❊ وكل غني في العيون جليل

وليس الغنى إلا غنى زين الفتى ❊ عشية يقري أو غداة ينيل

وقد اختلفت أقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم أن ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم فذهب بعضهم إلى تفضيل الغنى على الفقر لأن الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون إلى تفضيل الفقر على الغنى لأن الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة وذهب آخرون إلى تفضيل التوسط بين الأمرين بأن يخرج عن حد الفقر إلى أدنى مراتب الغنى ليصل إلى فضيلة الأمرين ويسلم من مذمة الحالين وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال وأن خيار الأمور أوساطها وقد مضى من شواهد كل فريق في موضعه ما أغنى عن إعادته والسبب الثالث أن يطلب الزيادة ويقتني الأموال ليدخرها لولده ويخلفها على ورثته مع شدة ضنه على نفسه وكفه عن صرف ذلك في حقه إشفاقا عليهم من كدح الطلب وسوء المنقلب فهذا شقي بجمعها مأخوذ بوزرها قد استحق اللوم واستوجب الذم من وجوه لا تخفى على ذي لب منها سوء ظنه بخالقه في أنه لا يرزقهم